

صلاح الدين واليهود

للدكتور عطية القوصي

المدرس بكلية الآداب جامعة القاهرة
(فرع الخرطوم)

شهد المؤرخون المسلمون وغير المسلمين للسلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بالفساح الديني وعدم التعصب مع غير المسلمين . ويرجع البعض هذا التسامح إلى أنه جزء من السياسة الحكيمة التي وضعها السلطان لإصلاح حال اقتصاد مصر وقت أن تولى حكمها ، وذلك بالاستفادة من جهود جميع العناصر العاملة في الدولة بغض النظر عن أديانها لمواجهة المصاعب المالية التي نجمت عن اضطراب الأحوال في مصر في أواخر عهد الفاطميين^(١) . وسواء كان هذا الرأي صحيحاً أم مجانباً للصواب فإنه من الثابت أن صلاح الدين كان يتحرى العدالة ويطبق تعاليم الشرع في جميع معاملاته ويتوخى رضا الله في تعامله مع رعايا دولته سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين^(٢) .

ولم تقتصر عدالة صلاح الدين على المسيحيين ولكنها شملت أيضاً اليهود الذين كانوا في أسوأ حال حين تولى السلطان حكم مصر والشام . ولقد تنفس اليهود الصعداء على يد هذا الحاكم المسلم الذي سمح لهم بالعودة إلى القدس وفلسطين وبحرية العمل والعبادة في أرض هذه البلاد المقدسة . وكان الصليبيون قد طردوا اليهود من فلسطين وحرروا عليهم دخول القدس غداة نجاحهم في حملتهم الصليبية الأولى وفرضوا عليهم هذا الحظر الذي سبق أن

فرضه عليهم أباطرة الرومان تيتوس وهادريان^(٣) . وفقد اليهود بذلك امتياز الحياة في المدينة المقدسة وحرية التنقل والمعيشة في مدن فلسطين وهو الامتياز الذي حصلوا عليه من المسلمين غداة الفتح الإسلامي لبلاد الشام^(٤) .

وتحكي لنا المصادر العربية والأوروبية عن المعاملة القاسية التي عامل بها الصليبيون سكان فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة مسلمين ومسيحيين ويهود . فحين استولى دجودفروا دى بلوين ، قائد الحملة الصليبية الأولى على بيت المقدس (١٥ يوليو ١٠٩٩) أقام فيها حمام دم لأهل المثلث الثلاثة ، وانطلق رجاله في شوارع المدينة يقتلون كل من يصادفهم من أهلها من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز . واستمرت المذبحة طوال يوم الفتح وطوال الليل^(٥) . وبالنسبة لليهود فلقد أحرق الصليبيون عليهم معبدهم الذي اجتمعوا فيه فوات منهم عدد كبير وأسر من فر من النار وسيقوا لبيعاعوا في أسواق النخاسة ، ورؤى أن ثلاثين يهودياً بيعوا بدينار واحد^(٦) . وبرر دى بلوين ، قتله وتحريره لليهود بأنه يفتقم منهم لقتلهم المسيح^(٧) .

ولقد عانى اليهود من الاضطهاد الصليبي في كل مدن فلسطين ، وشملهم القتل والأسر في يافا وفي حبرون (الخليل) وحيفا وجبل الكرمل وقبسارية^(٨) . ونتيجة لهذه المذابح الصليبية هرب من تبقى من اليهود من مدن فلسطين ناجياً بحياته إلى أماكن أكثر أماناً حتى كادت مدن فلسطين أن تخلو تماماً من اليهود ، وذكر الرحالة اليهودي د بنيامين التطيلي ، الذي زار فلسطين في سنة ١١٧٠م أنه رأى مدن فلسطين خالية من اليهود أو تكاد . فذكر أنه لم ير في يافا سوى يهودياً واحداً وفي بيت المقدس أربعة يهود يعملون بالصباغة^(٩) . وإن كان قد ذكر في موضع آخر من كتاب رحلته أنه شاهد مائتي يهودي عند برج داود في أطراف القدس يشتملون

بالصياغة (١٠) . وفي مدينة الرملة ثلاثة يهود فقط . وروى أنه مر على بعض مدن فلسطين فلم يشاهد بها يهودياً واحداً (١١) . وظل شتات اليهود ونحريم سكنهم مدن فلسطين وخاصة القدس قائماً حتى فتح صلاح الدين لهذه المدينة . فبعد أن فتح صلاح الدين القدس (يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ / ٢ أكتوبر ١١٨٧ م) سمح لليهود بالعودة إليها ، وأظهر من التسامح والعفو مع أهل المدينة ما جعل المؤرخين يذكرونه بالثناء والتقدير (١٢) . ولقد أمن سكان المدينة جميعهم على أرواحهم ووزع جنوده في شوارع المدينة وأحيائها ليحفظوا الأمن والنظام بها ويحفظوا أرواح سكانها ، فلم يقع حادث واحد من حوادث المروعة والنهب التي تلازم الفتح عادة (١٣) . ولم يشأ صلاح الدين أن يفعل مع المسيحيين واليهود مثلما فعل الصليبيون الأول من ضروب التوحش والإبادة التي وقعت على سكان القدس (١٤) . فلقد كانت رحمته وعطفه على نقيض أعمال الغزاة المسيحيين في الحملة الصليبية الأولى (١٥) .

وحين شعر اليهود بسباحة أخلاق هذا الفاتح العظيم وعدم تعصبه الديني أخذوا في العودة من مخابئهم إلى أرض فلسطين والقدس ابتداءً من سنة ١١٩٠ م . وكتب الشاعر الأديب اليهودي ديهودا الحريزي ، الذي زار مدينة القدس بعد ربع قرن من عودتها إلى يد صلاح الدين (حوالي سنة ١٢١٦ م) عن ذلك الأمر يقول :

د ... ولاكن لماذا لم يسمح لليهود بالبقاء في فلسطين حين كانت في قبضة الصليبيين المسيحيين؟ ... قيل أن السبب في ذلك أننا المنتسبون في قتل لإلهم . وأنذروا لذلك بأنهم سوف يأكلونا أحياء إذا تمكنوا منا . لكن الله أرسل الملك العادل صلاح الدين وزوده بالحكمة والشجاعة فسار بجيش من مصر وحاصر القدس وأسقط الله بعونه المدينة في يده . وعندئذ أرسل السلطان منادياً ينادى في أرجاء البلاد بأن يعود كل سليل من سلالة إبراهيم إلى القدس من العراق ومصر ومن كل الأماكن التي التجأوا إليها ... (١٦) .

ولقد شهد على جدالة وتسامح صلاح الدين وحسن معاملته لليهود غداة فتحه بيت المقدس أكبر أعداء المسلمين زعيمهم دافيد بن جوريون ، فلقد أورد في كتابه مانعه (١٧) .

ولقد أصدر صلاح الدين نداءً غداة فتحه للقدس يحث فيه اليهود صفاراً وكباراً وخاصة الحارثيين من حكم الصليبيين أن يعودوا إلى بيت المقدس . وفي خلال سنوات قليلة من حكم هذا السلطان العادل أعيد المجتمع اليهودي في القدس وتجمع اليهود من كل صوب وحذب عاندين إلى المدينة المقدسة . ولقد عاد مع هؤلاء العاندين عدد من كبار علماء اليهود وربابتهم منهم ثلاثمائة من فرنسا وإنجلترا وأسبانيا وسكنوا مدينة القدس . ولقد ذكره مؤرخ يهودي أن الملك العادل أخا صلاح الدين استقبل في سنة ١٢١١ هؤلاء العلماء اليهود الثلاثمائة استقبالا طيباً وسمح لهم ببناء مدارس ودور عبادة يهودية . وبأقضى على رأس هؤلاء الربانية الرايين الفرنسيين شمعون بن إبراهيم الشنازي ويوناتان القونلي . ولقد استمرت هجرة العلماء اليهود الغربيين إلى بيت المقدس وفلسطين طوال عهد صلاح الدين وعهد أسرته من بعده .

وبناءً على هذه العودة سمح السلطان صلاح الدين لليهود في مصر والشام بحرية العمل كما سمح لهم بحرية العبادة . وبذلك عاود التجار اليهود نشاطهم التجاري القديم وساهموا بنصيب وافر في التجارة الداخلية وفي تجارة المرور بين الشرق والغرب . ولم يضع السلطان أيوب أية قيود على اشتغالهم في التجارة ومساهماتهم في عودة الرواج الاقتصادي للبلاد (١٨) . فساوى بينهم وبين بقية التجار غير المسلمين في دفع المكوس . وكان يؤخذ منهم العشر في ميناء الإسكندرية ودمياط على البضائع التي كانوا يجلبونها من بلاد أوروبا إلى مصر مرة كل عام (١٩) . ثم تقرر أن يؤخذ منهم ومن سائر التجار الأجانب الخمس — وهو ضعف العشر — من كل ما يصل لهم مرة كل عام (٢٠) . واستمر أخذ الخمس من تجار اليهود ومن غيرهم من التجار الأجانب طوال

عهد صلاح الدين^(٢١) وهناك وثيقة من وثائق الجيزة - لم تنشر بعد -
وهي عبارة عن رسالة وردت من الاسكندرية إلى الفسطاط تمتدح فيها
صاحبها التاجر اليهودي السلطان صلاح الدين لإنقاذه المكوس عن
اليهود^(٢٢) .

وكان اليهود يدفعون الجزية السنوية المقررة عليهم شأنهم في ذلك شأن
غير المسلمين^(٢٣) . وكان تجار اليهود الذين يعملون في تجارة الشرق يدفعون
إلى جانب المكوس المفروضة على بضائعهم ما عليهم من الجزية السنوية
حتى أثناء تغيبهم في رحلات تجارة الشرق^(٢٤) . وقد جاء في وثائق الجيزة
أن هذه الجزية كانت تسمى في عهد الايوبيين (جعلية) وأنها كانت تؤديها
جماعات التجار اليهود حتى أثناء تواجدهم في الهند وبلاد الشرق الأدنى .
وشاهد على ذلك أن تاجراً يهودياً من تجار الهند تغيب في الهند تسع سنوات
ثم مات هناك فدفع عنه أخوته في مصر جعلية السنين التسعة . وهناك خطاب
من خطابات الجيزة أرسله أخ من الاسكندرية لأخيه الذي يتاجر في الهند
يطلب منه أن يرسل ما عليه من جعلية . وعند وصول الأخ تاجر الهند
إلى الاسكندرية سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م - بعد غياب أربع سنوات - أرسل
إلى صديق له في الفسطاط يطلب منه أن يخبر المحصل بفرق سفينته ورجائه
أن يرفع عنه جعلية السنوات الأربع . وقال له في خطابه ما نصه : دأوعده
بنصف دينار أو دينار له وذكره بأنني يوسف صاحب المخزن الواقع تحت
الكنيسة المعروفة ،^(٢٥) .

ونتيجة للعمل في تجارة الشرق وبفضل راية التسامح التي رفعها السلطان
صلاح الدين كون بعض تجار اليهود ثروات طيبة وأحرزوا مكانة هامة في
المجتمع المصري وفي البلاط السلطاني . ولقد قرب صلاح الدين أطباء اليهود
إليه وجعلهم أطباءه الخصوصيين بفضل نبوغهم في علم الطب والمداواة .
ورقي السلطان أحدهم إلى منصب القاضي (الناجد) ورفع مكانته وارتفعت

مكانة اليهود معه في مصر (٢٦) ، في ذات الوقت الذي ارتفعت فيه مكانة اليهود في العراق (٢٧) وحصل كبيرهم على لقب رأس الجالوت (٢٨) .

ومن الأطباء اليهود الذين خدموا البلاط السلطاني في عهد صلاح الدين وفي عهد أسرته من بعده نجد أسماء لامعة تحدث عنها المؤرخ الطبيب ابن أبي أصيبعة المعاصر لدولة الأيوبيين في كتابه دعيون الأبناء في طبقات الأطباء ، (٢٩) .

من هؤلاء : * د الطبيب يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري ، المعروف بشمس الحكام . وكان في خدمة السلطان صلاح الدين وتوفي بدمشق سنة ٦٢٤ هـ (٣٠) .

* د الطبيب أبو المعالي تمام بن هبة الله بن تمام ، وكان طبيباً يهودياً عزيز العلم وافر المعرفة مشهوراً في الدولة موصوفاً بالفضل مشكوراً بالمعاجلة . وكان مقيماً بفسطاط مصر وأسلم جماعة من أولاده . كان في خدمة السلطان صلاح الدين وكان ذا حظوة في أيامه . وقدم بعد ذلك لاختيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب وله من الكتب : تفاليق ومجربات في الطب ، (٣١) .

* د الطبيب الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زين بن جميع الإسرائيلي ، . وكان من الأطباء المشهورين والعلماء المذكورين ، متفهماً في العلوم جيد المعرفة بها ، كثير الإجتهد في صناعة الطب . ولد ونشأ بفسطاط مصر وخدم السلطان صلاح الدين ، وكان رفيع المنزلة عنده طال القدر نافذ الأمر يعتمد عليه في صناعة الطب . وكان لابن جميع مجلس هام للذين يشتغلون عليه بصناعة الطب وكانت له فيه كتب كثيرة (٣٢) .

* د الطبيب أبو البيان بن المدور الملقب بالسديد ، . خدم السلطان

صلاح الدين وكان يعتمد على معالجته . ولقد عمر هذا الطبيب حتى أصابه الضعف والوهن بسبب كبر سنه . فأطلق له السلطان في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل إليه في بيته دون أن يكاف بمخدمة . وبقى على تلك الحال نحو عشرين سنة . وعاش أبو البيان ثلاثاً وثمانين عاماً ، وخدم بعد صلاح الدين الملك العادل أبا بكر بن أيوب وتوفي سنة ٥٨٠ هـ بالقاهرة (٣٣) .

• د الطبيب الموفق بن شوعة ، . خدم السلطان صلاح الدين وعلمت منزلته عنده وتوفي بالقاهرة سنة ٥٧٩ هـ (٣٤) .

ويأتى على رأس هؤلاء الأطباء الطبيب العالم الفيلسوف دموسى بن ميمون، الملقب بالرئيس الذى يقول عنه ابن أبى أصيبعة أنه كان أوحد زمانه فى صناعة الطب وفى أعمالها ، متفهماً فى العلوم وله معرفة جيدة بالفلسفة . وكان السلطان الناصر صلاح الدين يرى له وكذلك ولده الملك الأفضل على ، وكان له من الكتب : د اختصار الكتب السنة عشر لجالينوس ، . د مقالة فى البراسير وعلاجها ، . د مقالة فى تدبير الصحة ، صنفها الملك الأفضل على بن الملك الناصر صلاح الدين . د مقالة فى السموم والتحرز من الأدوية القتالة ، . د كتاب شرح العقاد ، و د كتاب كبير على شرح اليهود ، (٣٥) .

وإذا كانت شخصية موسى بن ميمون الطيبة قد أحرزت مكانة هامة فى المجتمع المصرى فى عهد صلاح الدين فإن هذه الشخصية كان لها دور عظيم فى حياة كل اليهود منذ عهده حتى الآن . ذلك لأن هذا الرجل يعتبر المؤسس الحقيقى للديانة اليهودية وواضع أسس هذه العقيدة ومثبت أركان الإيمان بها . ولقد رفعه اليهود إلى مرتبة النبوة وأطلقوا عليه النبى موسى الثانى (٣٦) . ولذلك فإن اليهود الآن يدينون للسلطان المسلم صلاح الدين بإرساء قواعد

دينهم بفضل روح التسامح الديني التي ظلت عهده والتي أعطت المناخ المناسب
لنبوغ علامة اليهود موسى بن ميمون الذي كانت له الخطوة والمكانة
في بلاط السلطان .

وكان موسى بن ميمون قد النجا إلى مصر في عهد صلاح الدين بعد هروبه
مع أسرته من المغرب (٢٧) ، واحترف مهنة الطب فيها . ولم تهن سنوات
قليلة على استقراره بها حتى ذاع صيته وأصبح له السيادة فيها (٢٨) . واختير
الطبيب الأول لوزير صلاح الدين ، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي ،
الذي أوصله إلى البلاط السلطاني وغمره بامتيازات عديدة (٢٩) . وكان موسى
قد حصل على نفس المكانة عند ريتشارد قلب الأسد ، في عسقلان وعرض
عليه ريتشارد أن يبقى معه وأن يكون طبيبه الخاص . لكن موسى لم يكن
يأمن غدر الصليبيين وفضل العيش تحت راية حكم صلاح الدين الذي كاد أنه
مقابل ذلك واعطاه لقب (رأس الأمة) تشریفاً له وتعظيماً (٣٠) ، وأصبح
موسى بن ميمون أعظم شخصية يهودية في زمانه حين تولى وظيفة (الناجد)
— رئيس القضاة اليهود (٣١) . وصارت تصد له رسائل اليهود من كل العالم
تسأله الفتوى وتطالب منه الحل لمشاكلها الدينية .

ولقد أناحت الزعامة التي أحرزها موسى بن ميمون على المجتمع اليهودي
الفرصة له لإعادة تنظيم العقيدة اليهودية وإعادة ترتيب التلذود واستخلاص
الاحكام الشرعية والفتاوى منه وتخليصها مما يتخللها من استطرادات
وحكايات وأساطير (٣٢) واستطاع وسط زحمة العمل أن يؤلف كتيبه الدينية
التي كانت سر شهرته وعظمته بين يهود العالم . ولقد أراد في هذه الكتابات
أن يوفق بين التوراة والتلذود وأن يشرح الحقائق الرئيسية للديانة اليهودية
في العقيدة والتشريع . وأراد أن يبسط للناس التعاليم اليهودية بعد أن
استعصى فهمها على اليهود بسبب كثرة التضارب في كتبهم المقدسة (٣٣) .

وكتب موسى بن ميمون ، بعد وصوله مصر بثلاث سنوات (١١٦٨م) أهم أعماله وهي « المشنا المبسطة » ، وكانت أول محاولة لوضع مشنا مبسطة للعامة . وفي سنة ١١٨٠م أخرج عمـله الثاني الكبير وهو « مشنا تورا » ، (إعادة الشريعة) والذي عُرف بالتوراة الثانية عند اليهود ، وبعد من أبرز الكتب الأدبية في العالم . ولقد قسمه إلى أربع عشرة جزءاً أوضح فيها التعاليم اليهودية ببساطة وصاغ فيها كل أحكام التلمود والمشنا والتوراة بأسلوب عبري سهل واضح دقيق^(٤٤) .

كذلك أخرج كتابه الفلسفي « دلالة الحائرين »^(٤٥) الذي مزج فيه بين التعاليم اليهودية وفلسفة أرسطو . ولقد تأثر موسى بن ميمون في كتاباته بنتائج علم التوحيد وعلوم الكلام عند أئمة المسلمين وبفلسفة الاشاعرة^(٤٦) . وحاول ابن ميمون في كتاباته أن يقرب بين طائفتي الربانية والقرائين اليهوديتين اللتين كانت لهما مجتمعاتهما في القاهرة والاسكندرية ودمشق وأماكن أخرى^(٤٧) .

وكما تفانى موسى بن ميمون في خدمة ديانته وبذل كل الجهد لتوضيح العقيدة اليهودية للمواطن اليهودي العادي ، فلقد تفانى في خدمة الحاكم المسلم الذي أعطى له حرية الحركة والتفكير على أرض مصر . فلقد عاش موسى بن ميمون حياته في عمل متواصل دون كلل أو ملل . ولقد تحدث عن ذلك الرحالة «عبد اللطيف البغدادي» الذي زار مصر حوالي سنة ١١٩٩م وذكر ذبوع صبت ابن ميمون وشهرة ابنه ابراهيم^(٤٨) . وفي خطاب أرسله ابن ميمون إلى أحد أصدقائه أعطانا صورة لبرنامج عمله اليومي فكتب يقول :

« إنني أهبش في الفسطاط بالقرب من قصر السلطان المتواجد بالقاهرة والذي لا يبعد عن مقر إقامتي كثيراً . وإنني أتواجد في كل صباح في حضرة السلطان حيث أقوم بمعالجة قواد السلطان وأتباعه . وأظل هناك ولا أعود

إلى الفسطاط قبل الظهر بأى حال من الأحوال . وعند هودى للفسطاط أجد
فى انتظارى كثيراً من الناس مسلمين ويهود واقفين أمام دارى . فأنزل من
على حمارى وأغتسل وأعتذر للناس عن تأخرى وأطلب منهم الإلتظار قليلاً
حتى أتناول لقيمات قليلة . ثم أعرد لمعالجة المرضى وأكتب لهم العلاج .
ويظل الناس من حولى فى ذهاب ورواح حتى المساء وأظل فى خدمتهم حتى
الثانية صباحاً ، أما يوم السبت فأقوم بالخدمة الدينية حيث يزورنى كبار
رجالنا اليهود الذين أعطيهم إرشاداتى لباقي الأسبوع ،^(٤٩) .

وتوفى موسى بن ميمون سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٤ م فى السبعين من عمره دون
مرض ولكن بسبب الإرهاق الشديد والعمل المتواصل فبكاه اليهود والمسلمون
وأقاموا الحداد على وفاته ثلاثة أيام^(٥٠) . وحل جثمانه إلى فلسطين ودفن
فى طبرية تنفيذاً لوصيته^(٥١) ، وأصبح قبره محجاً لليهود^(٥٢) .

ولقد خلف موسى فى منصبه الدينى ووظيفة الطب ابنه ابراهيم^(٥٣) وعمل
ابراهيم فى خدمة الملك العادل ثم الملك الكامل وظل يتردد على البيمارستان
للناسرى بالقاهرة ويعالج المرضى فيه^(٥٤) . واحتفظ ابراهيم بالمكانة التى
كانت لأبيه فى البلاط السلطانى . كما احتفظت أسرة موسى بن ميمون وسائر
جماعات اليهود بالمكانة التى أحرزوها فى مصر وذلك بفضل سياسة التسامح
الدينى التى وضعها السلطان صلاح الدين وسارت عليها أسرته من بعده .

الحواشي

Ehrenkreutz : Contributions to the knowledge of the Fiscal (١)
administration of Egypt in the Middle Ages, [BSOASU, V,
XVI, Part 3, London 1954, p. 514].

Goitein : Jews and Arabs, their contacts through the Ages, (٢)
New York 1955, p. 72.

(٣) في سنة ٧٠ م هدم الامبراطور الروماني تيتوس هيكل اليهود وقام بقتل وطرد
اليهود من فلسطين والقدس . كذلك تكرر الأمر مع اليهود في سنة ١٣٥ م حين فشلت
الثورة التي قاموا بها في فلسطين ضد الرومان في عهد الامبراطور هادريان في الفترة ما بين
١٣٢ - ١٣٥ م . وهي الثورة التي عرفت باسم ثورة باركوكبا (ابن النجوم) وكانت آخر
ثوراتهم في فلسطين . وبعد أن أخذ القائد يوليوس سيفروس قائد هادريان هذه الثورة
قام بهدم معبد اليهود وأقام مكانه معبداً وتعلالا للاله جيوبيتر كابيتولينوس . كما قام هادريان
بتغيير اسم مدينة القدس الى ليليا كابيتولينا . كذلك غير كل الأسماء العبرية في المدينة إلى
أسماء رومانية . وأصدر هادريان قراراً يحرم على اليهود دخول مدينة القدس والعيش فيها
وجعل الموت عقوبة من يقدم منهم على ذلك . وظلت القدس وسائر مدن فلسطين محرمة على اليهود
حتى الفتح الإسلامي للشام .

[Eva Goldmann : A History of the Jewish People, London
1967, p. 92]

(٤) ظل حظر دخول القدس على اليهود قائماً حتى استيلاء جيوش الخليفة عمر
ابن الخطاب على القدس سنة ٦٣٧ م . وكان زعماء المسيحيين في المدينة قد اضطروا على
الخليفة شروطاً يسلموه بعدها المدينة منها شرط منع اليهود من دخول المدينة . لكن الخليفة
المسلم قبل كل الشروط ماعداً هذا الشرط معتزلاً بأن القرآن حدد لأهل الكتاب ما لهم
وما عليهم وليس فيه شيء يسمح بهذا . وبذلك أصبح لليهود الحق في العودة والعيش في المدينة
المقدسة . ولم يجرى اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين وأوائل الأمويين على الاستيطان
بالقدس ثم سمح لهم بعد ذلك منذ أيام الخليفة عبد الملك بن مروان .

وحين أصبحت الشام في يد الفاطميين واستولوا على القدس ازدهرت بها الطائفة
اليهودية لعطفهم على أهل الكتاب وبخاصة اليهود (حسن ظاهراً : القدس مدينة الله أم مدينة
داود ، الاسكندرية ١٩٧٠ ، ص ٣١، ٣٠) .

(٥) ستيفن روتيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العويني ، بيروت

١٩٦٧ ، ص ٤٠٤ .

—David Ben-Gurion : The Jews in their land, London (٦)

1966, p. 214.

—Simon Dubnov : History of the Jews, V. IV, London (٧)

1968, p. 672.

—Ben-Gurion : Op. Cit, p. 214. (٨)

—Ben-Gurion : Op. Cit., p. 213. (٩)

(١٠) آدم ميتز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ،
القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٦٤ .

(١١) زار الرحالة اليهودي الأسباني بنيامين الطيلى بلاد العالم الإسلامى فى الفترة
ما بين ١١٧٠—١١٧٣ م . فزار سوريا وفلسطين والعراق ووصل إلى بغداد . ونقل كل
شئ سمعه أو رآه عن الأحداث السياسية آنذاك فى كل بلد زاره وخاصة فيما يتعلق بحياة
اليهود فى هذه البلاد . كذلك قام هذا الرحالة برحلة أخرى إلى مصر بعد رحلته الأولى بحوالى
ثلاثين عاماً وتحدث فيها عن أحوال اليهود فى مصر .

(Simon Dubnov : Op. Cit., IV, pp. 797-813)

(١٢) أبانغ ثناء لصلاح الدين فى هذه المناسبة ما أورده المؤرخ ابن بول حين قال :
« إذا كان فتح بيت المقدس والمعاملة الطيبة التى أبدأها صلاح الدين لسكانها هى الحسنة
الوحيدة التى فعلها لسكفاه بذلك أن يكون أعظم الفاتحين وأرقهم قلباً فى عصره بل وربما فى
كل العصور » .

(Stanley Lane-Pool : Saladin and the Fall of the Kingdom of
Jerusalem, Beirut 1964, p. 234).

(١٣) عارف المعارف : تاريخ القدس ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٧٩، ٧٨ .

(١٤) جوستاف ليبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٥٦ ،
ص ٣٢٩ .

(١٥) رونيان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٥٣ .

— أورد المؤرخ الرحالة عبد الطيف البغدادي أنه كان حاضراً وفاة السلطان
صلاح الدين وأنه لمس حزن كل الناس على اختلاف مللها لوفاة هذا الحاكم العظيم وقال
ما نصه :

(لما مات صلاح الدين ما رأيت ملكاً حزن الناس بموته سواه لأنه كان محبوباً محبة
البار والفاخر والمسلم والكافر — الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المأينة
بأرض مصر ، القاهرة ١٩٤٣ ، ص ٢) .

—Simon Dubnov : History of the Jews, IV, p 816. (١٦)

—The Jews in their land. London 1966, pp 217—218. (١٧)

—Ashtor: Saladin and the Jews, [Hebrew Union College (١٨) Annual, V. 27 (1956), p. 326]

• (١٩) المفريزي: الخطوط، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ، ج٢، ص١٢٠.

• (٢٠) القلقشندي: صبح الأعشى، القاهرة ١٩١٥، ج٣، ص٤٥٩.

• (٢١) قال ابن مباتي (قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة

١٩٤٣، ص٣٢٦).

• وربما بلغ قيمة ما يستخرج عما قيمته مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين ديناراً وربما انقطعت عن العشرين ديناراً ويطلق على كليهما خمس. • ومن الروم من يستأدى منه العشر إلا أنه لما كان الخمس أكثر كانت النسبة إليه أشهر.

—Goitein: The Cairo Geniza as a source for the History of the Muslim Civilisation, [Studia Islamica, III, Paris 1953, p. 85].

—Goitein: Jews and Arabs, p. 72.

• (٢٣) كانت الجزية تفرض على أهل الذمة في مصر منذ اللحظة الأولى لفتح العرب لها. وقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب نظاماً ثابتاً موحداً للجزية لاتباعه المال في سائر الأمصار، فقسم الجزية ثلاثة أقسام وفقاً لحالة الذي الاجتماعية. فكان يؤخذ من الذكر الموسر أربعة دنانير وسدس في كل سنة وعلى المتوسط ديناران وقبطان وعلى الفقير دينار وثلث وأضيف إلى جربة كل شخص درهمان وربع عن رسم العاد والمباشرين، وكتب عمر إلى عماله بأن لا يوضع عليهم أكثر من ذلك وأن يخفف عن عجز عن الدفع. • وقد كانت العادة جارية باستخراج الجزية في أول المحرم من كل سنة ثم صارت تستخرج في أيام من ذى الحجة. • (القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٧).

• (٢٤) كان اليهودي المكلف بالدفع يدفع جمليته في مسقط رأسه ويأخذ بذلك شهادة تفيد بدفعه تعرف بالبراءة.

[Goitein: The Cairo Geniza, SI, III, Paris 1955, p. 86].

—Goitein: Evidence on the Muslim Poll tax from non-muslim sources, [JESHO, V. VI, Part I, 1963, pp. 282—283].

—Simon Dubnov: History of the Jews, V. IV, p. 816. (٢٦)

• (٢٧) أثر انقسام الإسلام إلى خلافة بينداد وأخرى بالقاهرة بقيام دولة الفاطميين في مصر على تنظيم المجتمع اليهودي في العالم الإسلامي فتزعم يهود العراق وأسس الجالوت بينما ترأس يهود مصر رئيس آخر يلقب سرهساريم (أمير الأمراء) وكان يمين أحبار اليهود في الشام ومصر أي في حدود دولة الفاطميين.

ولا بد أن يكون الفاطميون قد تمكنوا لإيجاد هذه الطائفة الخاصة من الأمراء (ناجد — أمير) بالقاهرة رغبة منهم في معارضة كل ما هو بنسدادى، وقد تسلم الرحالة بنيامين التطلبي عن هذه الوظيفة أثناء رحلته. • (آدم مئير: الحضارة الإسلامية) ج١، ص٦٣.

(٢٨) رأس الجالوت هو رئيس اليهود ولقد عرفه الخوارزمي بقوله عنه أنه « هو رئيس اليهود وهم الجالية أمم الذين جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس ويكون رأس الجالوت من ولد داود عليه السلام وتزعم عامتهم أن لا يرأس حتى يكون طويل الباع تبلغ أفاضل يديه ركبته إذا مدحا .

• الخوارزمي : مفاتيح العاوم ، القاهرة ١٣٤٢ هـ ، ص (٢٤) .

(٢٩) هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي ، ولد في دمشق سنة ٦٠٠ هـ ، وكان والده أمير السكاحين (أطباء العيون) في دمشق . عاش في القاهرة الأيوبية وافجع في المارستان الناصري الذي أنشأه صلاح الدين في القاهرة واشتهر بحسن مداوانه لأمرض العيون واستلفت نبوغه الجالس على كرسي الملك فألقبه بخدمة الدولة . توفي في صرخد إحدى مدن جبال حوران سنة ٦٧٨ هـ .

• مقدمة كتاب عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت

• (١٩٦٥)

(٣٠) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ص ٧٢١ .

(٣١) نفس المصدر السابق ، ص ٥٨٢ .

(٣٢) أورد ابن أبي أصيبعة (ص ٥٧٩) أن من كتبه في الطب : كتاب الارشاد لمصالح الأنفس والأجساد وهو أربع مقالات . وكتب التصريح بالمسكنون في تنقيح القانون ورسالة في طبع الاسكندرية وحال هوائها ومياهها ونحو ذلك من أحوالها وأحوال أهلها . ومقالة في الليمون وشرابه ومنافعه . ومقالة في الراوند ومنافعه . ومقالة في علاج القولنج .

(٣٣) ابن أبي أصيبعة : نفس المصدر ، ص ٥٧٩ ، ٥٨٠ .

(٣٤) نفس المصدر السابق ، ص ٥٨١ .

(٣٥) عيون الأنباء ، ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

(٣٦) —Poul Borchsenius : The Three Rings, The History of the Spanish Jews, London 1954, p 116.

(٣٧) ولد موسى بن ميمون في قرطبة بالأندلس سنة ١١٣٥ (٣٠ مارس) ومات في القاهرة في ١٣ ديسمبر ١٢٠٤ ودفن في طبرية . عرف في العربية بأبى عمران موسى بن ميمون بن عبد الله .

وكان والده قاضياً ومعلماً تعلم موسى منه التعاليم الدينية . وحين كان موسى يبلغ من العمر ثلاث عشرة عاماً سقطت قرطبة في يد الموحدين . ولما خبر الأمير عبد المنعم الموحدى (١١٣٠ — ١١٦٣) اليهود والمسيحيين بين الاسلام أو ترك البلاد . وكان على ميمون وأسرته أن يهبطوا إلى البحر فاختاروا الرحيل عن الأندلس . وفي سنة ١١٦٠ استقروا في فاس لكن الأسرة هجرت فاس بعد استقرار دام خمس سنوات بها وركبت البحر . هجرة إلى فلسطين فوصلت عكا ثم بيت المقدس . وبسبب الاضطهاد الصليبي الذي كان يسود فلسطين ارتحلت الأسرة إلى الاسكندرية وأخيراً استقرت في القسطنطينية .

ومات والده بعد استقراره في مصر بشهرين (١١٦٦هـ) فقام أخوه الأكبر داود برعايته والمائلة . لكن داود غرق بمصر في البحر مع مركب كان يتاجر عليها فاضطر موسى لذلك أن يعمل ليسكب قوته فاحترف مهنة الطب وكان قد اكتسب معرفة هائلة بشئون الحياة وفي شتى العلوم أثناء تجواله وخاصة في علم الطب .

(The Jewish Encyclopedia, V. IX, London 1916, p. 73.)

(٣٨) يقول ابن أبي أصيبعة (ص ٥٨٢) أن الرئيس موسى كان قد أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم لما توجه إلى الديار المصرية وأقام بفسطاط مصر ارتد . وأبده القفطى في ذلك (القفطى : تاريخ الحكماء ، لبيز ج ١٩٠٣ ، ص ٣١٨) .

—The Jewish Encyclopedia, IX, p. 74. (٣٩)

—Simon Dubnov : Op. Cit., p. 819. (٤٠)

(٤١) كان موسى بن ميمون أيضاً وكيلًا لتجار اليهود في تجارة الشرق وكان يطلق عليه لقب أمير بلاد اليمن .

Goitein : Letters and Documents on the India Trade in Medieval Times, [Islamic Culture, London 19٤3, vol 37, no. I. p. 188].

(٤٢) حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي ، أطواره ومذاهبه ، القاهرة

١٩٧١ ، ص ١٠٤ .

—Poul : Op. Cit., p. 125. (٤٣)

—Poul : Op. Cit., p. 133. (٤٤)

(٤٥) القفطى : أخبار الحكماء ، ص ٧٩ .

(٤٦) حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي ، ص ١٥٨-١٦٣ .

—Simon Dubnov : Op. Cit., p. 819. (٤٧)

(٤٨) نقل المؤرخ الطبيب ابن أبي أصيبعة عن الرحالة عبد اللطيف البغدادي في ترجمته لحياته على لسانه مانصه : أنه سافر إلى مصر في أواخر أيام السلطان صلاح الدين وأن البغدادي قال ضمن من قابلهم من الأفاضل الرئيس موسى بن ميمون الذي قال عنه ما نصه :

« جاءني موسى فوجدته فاضلاً في الفاية قد غلب عليه حب الرئاسة وخدم أرباب الدنيا وعمل كتاباً في الطب جمعه من الستة عشر لجامينوس ومن خمسة كتب أخرى وعمل كتاباً لليهود سماه كتاب الدلالة » .

[عبد اللطيف البغدادي : الانفاة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعانية بارض مصر ، القاهرة ١٩٤٣ ، الترجمة الخاصة بالمؤلف والملاحقة بالكتاب عن المؤرخ ابن أبي أصيبعة ، صفحات هـ، و] .

—Simon Dubnov : Op. Cit., p. 820. (٤٩)

—Poul. Op. Cit., p. 134. (٥٠)

(٥١) الفنطى : أخبار الحكماء ، ص ١٩٣

—Jewish Encyclopedia, IX, p. 80. (٥٢)

—Goitein : Jews and Arabs, p. 182. (٥٣)

(٥٤) كان إبراهيم معاصراً للطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة ، فلقد أشار ابن أبي أصيبعة في كتابه (ص ٥٨٣) أنه التقى في سنة ٦٣٠ أو ٦٣٢ هـ بإبراهيم في بیمارستان القاهرة وأنه وجده شيخاً طويلاً نحيف الجسم حسن العشرة لطيف الكلام متميز في الطب وذكر أنه توفي بمصر في الثلاثينات من سنة ست مائة .